الباب الثاني

أدوات القمع

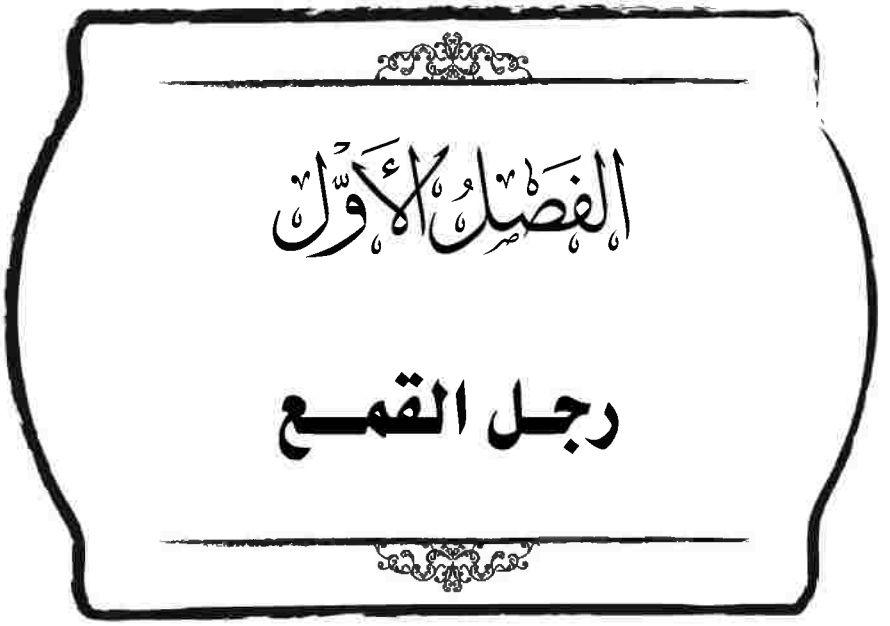

الفصل الأول

رجل القمع

تتنوع أدوات القمع بين اعتقالات وضرب بالهراوات، وإطلاق لقنابل الغاز والتفريق بمدافع المياه، والكلاب والخيول، وضرب بالرصاص بمختلف أنواعه، وغيرها من أسلحة قوات مكافحة الشغب، أو أسلحة الجيوش في حالات الاحتلال أو الديكتاتوريات المفرطة في القمع أو النظم العسكرية.

ورغم أهمية المعرفة الدقيقة بأدوات قوات القمع وكيفية استخدامها، ووضع الاستراتيجيات والتكتيكات المكافئة لها؛ إلا أن الأهم هو الدراسة الدقيقة للأداة الأساسية التي بدونها لا قيمة لكل هذه الترسانة من الأسلحة.. ونعني هنا «**رجل القمع**».

وتنقسم قوى القمع إلى أربعة أصناف:

* قوات نظامية: الشرطة والجيش وكافة الأجهزة الأمنية الأخرىٰ التي تتفرع عنهما أو تلك المستقلة عنهما[1].
* قوات خارجية، قد تكون جيوش نظامية أو ميليشيات،[2] أو شركات خاصة.
* البلطجية.
* الأهالي.

---

1 في بعض الديكتاتوريات تشكل القيادة الحاكمة أجهزة أمنية رسمية غير تابعة لمؤسستي الجيش أو الشرطة؛ وإنما تتبع الحاكم أو أبنائه أو المقربين منه أو الطائفة العرقية أو المذهبية التي ينتمي إليها مباشرةً، وذلك لضمان ولائهم، وليكونوا خط الدفاع الأخير عن النظام السياسي الحاكم في حالة الثورات أو الأزمات. ومن الأمثلة الصارخة علىٰ هذه الأجهزة الأمنية المستقلة كتائب القذافي.

2 الميليشيا هي قوات غير نظامية، لا تخضع للقوانين العسكرية، لكنها مدربة علىٰ القتال، وقد يكون منهم من كانوا في الخدمة العسكرية سابقًا. وأحيانًا تكون تابعة لأحزاب أو حركات. وقد انتشرت الميليشيات في مختلف دول العالم، ومن أمثلتها حزب الله اللبناني، والجيش الجمهوري الأيرلندي، وحركة إيتا الانفصالية في أسبانيا.

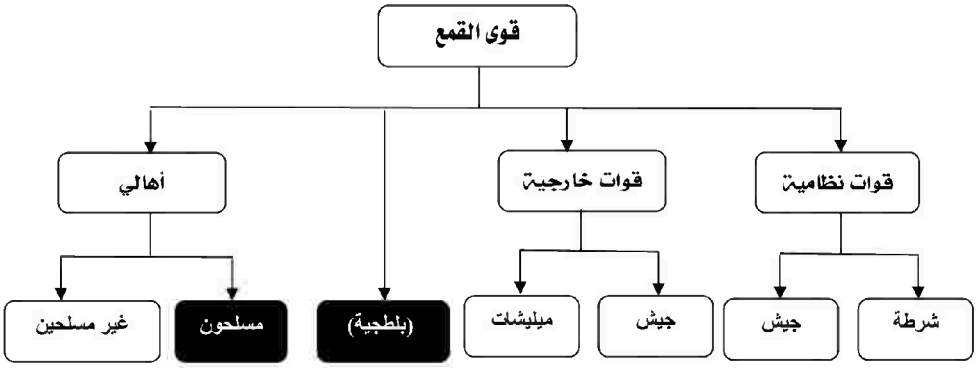

شكل 5: قد يواجه المحتجون قمع قوىٰ نظامية من الجيش والشرطة والأجهزة الأمنية، أو قمع قوات خارجية سواء كانت جيشًا نظاميًا أو ميليشيات، و قد تواجه في الداخل تحدي البلطجية. كما يشارك الأهالي أحيانًا في القمع، وهم إما أهالي مسلحون بحكم بيئتهم، أو غير مسلحين. ويجب التمييز بين البلطجية والأهالي، لأن لكل منهما طريقة للتعامل معه.

أولاً: القوات النظامية

رغم الفرق بين «**قوات الشرطة**» و«**الجيش**» سواء من حيث التركيبة الذهنية وطبيعة الإعداد ومهمة كل منهما؛ إلا أننا سندمجهم معًا في هذا الفصل لما يميزهم عن المجموعة الثالثة «**المرتزقة**»، حيث أنهم يشتركون في أنهم يعملون في مؤسسات للدولة، ويخضعون لنظام الطاعة الإجباري، ويتلقون تدريبات محترفة، كما يشتركون في أن تكوينهم في الغالب نابع من تكوين المجتمع بشرائحه المتنوعة خاصة في مستوىٰ الجنود. وسنطلق عليهم «**رجل القمع**».

كيف يفكر رجل القمع؟

وحتىٰ تحدد كيف تتعامل مع رجل القمع، يجب أن تحدد كيف تنظر أنت له، وهل يمكن أن يصبح له دور في مشروعك أم لا؟ ومن هو رجل القمع؟!

وكيف يراك؟ ولماذا يكرهك؟ وهل حقاً يكرهك؟! أم أن أحداً أقنعك بهذا تماماً مثلما فعلوا معه حين أقنعوه أنك عدوه اللدود؟! وهل هناك أمل في أن يغير تفكيره أم أن هذا مستحيل؟! وهل التغيير إن حدث يستغرق زمناً أم يتم سريعاً؟!

كل هذه الأسئلة تتطلب جديةً في الدراسة والاطلاع علىٰ تجارب الشعوب، دون الاستسلام للراحة الذهنية التي تجنح إلىٰ أن تغيير موقف "رجل القمع" أمر مستحيل. خاصةً إن وجدنا أن الدليل العالمي لقوات مكافحة الشغب تعرض لموضوع كيفية تحصين القوات حتىٰ لا تتأثر عاطفياً بالمحتجين. مما يؤكد أن تأثرهم وارد وملاحظ، وتم وضع تكتيكات للتعامل معه لضمان طاعتهم للأوامر.[1]

إن من أبرز مداخل تحديد كيفية التعامل مع رجل القمع أن تفهم من هو، وكيف يراك؟ وهل قضيتك تمسه سلباً أم إيجاباً؟ وهل تحسن عرضها له أم أنك تجعله يكفر بها؟ خاصةً أنه في ظل الديكتاتوريات يكون في بيئة تجعله يكفر بكل ما حوله، باعتباره خطراً عليه.

عادة ما يُعبأ الجنود والضباط في معسكرات القمع ذهنياً علىٰ أن من أمامهم عدواً يريد أن يفتك بهم، أو أنه عدو للوطن يريد تخريبه، أو عدو للدين في حالة الأيديولوجيات الدينية المتطرفة. وعادةً ما تبني المؤسسات الأمنية بينها وبين المجتمع سوراً عالياً، فهي لا تختلف كثيراً عن الجماعات الراديكالية أحادية النظرة، والتي غالباً ما يصعب تغيير أفكارها بالإقناع، وإنما بالصدمات العملية للقناعات.

---

1 انظر القاعدة 24 في دليل قوات مكافحة الشغب في ملحق الكتاب.

نفسية رجل القمع

ينشأ رجل القمع - سواء كان جندياً أو ضابطاً- في بيئة غير مرحبة بقبول مجرد الاستماع للآراء المختلفة، مما يجعل منه شخصية متربصة وحذرة من كل ما لا يشبهها، وهو أيضاً قلق مرتبك، على عكس ما تبدو صورته في الزي الخادع. خائف من قيادته من جهة، ومن بطش المحتجين من جهة أخرى!! أضف إلى ذلك همومه الحياتية التي تلاحقه، والتي قد تكون أنت جزءاً منها، فبسببك هو ملقى في الشارع لأسابيع، ولم يأخذ أجازة واحدة، فربما ترك أهله.. خطيبته.. أمه.. أبناءه، لعله يعيش أسوأ أيامه!! لعلهم أقنعوه أن الموت سيأتيه على يديك إن غمض له جفن.. فأنت كابوس جاثم على صدره، تماماً مثلما تراه كابوساً مزعجاً.

إن المحتجين - خاصةً في الصفوف الأولى المواجِهة - يلعبون دوراً مهماً في رسم صورة الجموع من ورائهم لدى قوى القمع، هم سفراء القضية التي خرجوا لأجلها. فإما أن يؤكدوا لرجل القمع الصورة السائدة المخيفة أو يغيروها. لذلك تبدأ معركة محلها العقل والقلب، وأدواتها الأنشطة المتنوعة التي تجمعهم برجل القمع. يعمل أبطالها جاهدين على تغيير نظرة رجل القمع للمحتجين بل ومشروع التغيير برمته، مع يقينهم أن جندي القمع - أو الضابط الصغير - في النهاية سيمتثل للأمر وقتما يصدر له. لكن هذا لا يعني أن القصة انتهت بمجرد توجيه الأمر وتنفيذه، وأن كل هذا الجهد أصبح هباء منثوراً.

يُشاع أن رجل القمع في النهاية يستجيب للأوامر العليا، فهو أداة، وبالتالي فمحاولة إقناعه بأي شيء غير مجدية، وإظهار الود له يدل على ضعف سيستثمره لاحقاً، لأنه فور أن يأتيه الأمر بالاشتباك سينقض كالثور الهائج. يبدو هذا الكلام مقنعاً عند النظرة الأولى، حين نقرر أن نرى البشر آلات

شرسة، لكن بنظرة أدق ستجد قوات الأمن ليست آلات – وإن كان يراد لها أن تكون كذلك. هي مجتمع كامل خلف الزي الرسمي. مجتمع بشري فيه الفرح والألم، وفيه جلسات السمر والمواقف المتأزمة، فيه الكثير من الذكريات والعلاقات الإنسانية خاصة بين المستويات الدنيا (الجنود)، يبكون إن غادرهم أحدهم إلىٰ وحدة جديدة، أو أنهىٰ خدمته.

إمكانية التأثير في رجل القمع

إن درجة رضا هذه المستويات الدنيا عن القيادة المباشرة أو العليا متفاوتة، وتأثرهم ببعضهم البعض حاضر طول الوقت. فالتمكن من تغيير موقف رجل واحد من رجال القمع، كفيل بإحداث هزة وسط الصفوف، ولو علىٰ الصعيد النفسي، خاصة إن كان هذا الرجل محبوباً وسطهم، إما لأنه شهم أو مرح أو صاحب خلق.. الخ.

والعكس تماماً يحدث، فإن استشهد أحدهم، فإنهم قد يتحولون إلىٰ وحوش كاسرة لا قلب لها، يثأرون لصاحبهم وينتقمون له بعد أن تيقنوا أن من أمامهم أعداء. وأحياناً تشعل أجهزة الديكتاتوريات الأمنية الغريزة الانتقامية لدىٰ رجال القمع، فاستهداف واحد منهم أمام زملائه سواءً بالقتل أو الاختطاف من قِبل «**طرف مجهول**» خلال الاحتجاجات يعزز لديهم غريزة الانتقام، ويجعل استجابتهم للأوامر سريعة وحماسية وعنيفة. أحياناً تدبر القيادات الأمنية مثل هذه الحوادث، وأحياناً تحدث بالفعل بسبب تهور بعض المحتجين.

كذلك قد تحدث أعمال تمرد إن اعتبروا قياداتهم هم الأعداء الذين قذفوا بهم في أتون هذه المعركة، ليقتلوا آباءهم وإخوانهم وأقاربهم وأصدقاءهم.

تعامل المقاومة مع رجل القمع

وتقوم فكرة حرب اللاعنف على نزع أداة القمع من الديكتاتور، وخلق المجتمع القوي الذي يقوم فيه كل قطاع بدوره، ولا يُستثنىٰ من ذلك القطاع الأمني، حيث يحول ولاءه لخدمة المجتمع لا الديكتاتوريات. ولا يتم هذا التحول في الولاء إلا بتحرر في العقول، وتغيير النظرة الكلية لما يجري. وهذه مهمة أساسية لقوىٰ التغيير، فكما تعمل علىٰ تحرير عقول الجماهير، فإنها تعمل علىٰ تحرير عقول قوىٰ القمع. وهذا هدف استراتيجي في حرب اللاعنف.

وعملية تحرير عقول قوات القمع تكمن صعوبتها في أن تلك القوات في الغالب مبرمجة علىٰ النظر للمحتجين بشكل معين، عادةً ما يتسم بالعداوة الشديدة. لذلك يلجأ المحتجون أحياناً إلىٰ المبالغة في مظاهر سلميتهم، كإطلاق البالونات في الهواء وإضفاء أجواء من البهجة، والحوار المباشر معهم، وتقديم الطعام لهم، وتقديم الماء مع كتابة شعارات علىٰ الزجاجات من قبيل.. «**أخي.. اشرب لقد تعبت من الوقوف اليوم**».. وتقديم أصحاب الوجوه الهادئة والعائلات والفتيات والأطفال الصغار، والأمهات الكبار الذي يعاملونهم كأبنائهم ويخاطبونهم بود ليكسبوا قلوبهم.

إنهم يحاولون خلق حوار مستمر يجريه المحتجون مع قوات القمع لتغيير نظرتهم أولاً، ومحاولة كسبهم من جهة ثانية. هم لا يخاطبون النظام، بل يخاطبون إخوانهم في المعسكر الآخر.

هذا النموذج للحوار تكرر في حالات عدة، ففي الثورة الصربية عام 2000 حرص المحتجون علىٰ كسب رجال القمع. ومحاولةً منهم لتقليل التوتر قدموا النساء والأطفال وكبار السن وقدامىٰ المحاربين في الصفوف الأولىٰ، بحيث لا

تتوتر قوات القمع أو تُستفز.[1]

وتهدف هذه الإجراءات إلىٰ تغيير التصور وتحرير عقل وقلب رجل القمع. وهي قد لا تؤتي ثمارها من أول مرة، فبعد كل نشاط للمحتجين يدور حوار داخلي في معسكر القمع، هذا يقول إنهم يخادعوننا، فيرد آخر هل رأيت تلك العجوز؟! هل تتصور أنها جاءت لخداعنا؟! ثم يقول ثالث.. أي عجوز؟! ألم تر الشباب يسبنا بأسوأ الألفاظ؟! وآخر يقول.. لقد كان ابن عمي بينهم!!

وفي خضم هذا الحوار يأتي أمر الاشتباك، فيتحرك الجنود والضباط لينفذوا للتو، فإن تأكدت لديهم الصورة وهم يقمعون، يعودون أدراجهم بعد انتهاء اليوم ليتناقشوا، أو ليسترجع كل منهم ذكريات اليوم علىٰ حدة. سيبرر كل منهم لنفسه ما قام به، مستعيناً ببعض المشاهد التي رآها. هذا ألقي عليه زجاجة حارقة، وآخر سب أمه بأفظع الكلمات. لكنه في المقابل يتذكر مشاهد أخرىٰ، عجوز يقول له «**يا بني.. أنا في عمر أبيك**».. وأم تخاطب نخوته.. إنها رسائل متباينة تصل إلىٰ قوىٰ القمع، بعضها يؤكد النظرة العدائية، والبعض الآخر ينفيها تماماً، ومئات الرسائل بين هذه وتلك.

من يتبنون أسلوب اللاعنف يعلمون أن دورهم هو تأكيد رسائل محددة حتىٰ لا تضيع في فوضىٰ الرسائل، ولا يجزعون من استمرار استجابة قوىٰ القمع للأوامر، فهم يعتبرون أن تنفيذ الأوامر يعطيهم المزيد من الفرصة للتفاعل معهم وتأكيد رسالتهم، ودورهم هو التفنن في ردود الأفعال التي تزيد مشاهد تألم قوىٰ القمع مما ارتكبته، في مقابل مشاهد تبرير ما فعلته. كما يعلمون أنهم

---

1 How to start a Revolution (2011). Ruaridh Arrow, D.C. DVD, 180 Min., UK: TVF International.

(نشرت النسخة المدبلجة من الفيلم تحت عنوان "أستاذ الثورة" علىٰ قناتي الجزيرة وبي بي سي العربية)

إن تمكنوا من تحويل موقف قوىٰ القمع لتنفذ الأوامر مكرهةً بعد أن كانت تنفذها راغبةً؛ فإن هذا تحول كبير يبشر بإمكانية تغيير المواقف لاحقًا.[1]

اليأس من التحول في قوى القمع

تتسرع قوىٰ التغيير أحيانًا، وتقول «**لقد جربنا وسائل مشابهة ولم تُجْدِ، هؤلاء لا يشعرون ولن يتأثروا كثيراً بسلميتنا**». لكن الحكم علىٰ جدوىٰ الوسائل ومدىٰ نفعها سابق لأوانه، فتجربة الوسائل لا يعني أن تلمس أثرها مباشرة، أنت ترىٰ رجل القمع يمارس نفس السلوك، لكنك لا تدري ما يجري في عقله، وكيف يغلي قلبه، ولا تعرف شيئًا عن الحوارات الداخلية التي تدار في معسكر قوىٰ القمع، أو في الأجازات حين يتحاور الجندي أو الضابط مع أصدقائه وأقاربه الذين ربما من بينهم محتجون. وربما يأتي في اليوم التالي ليقف أمامك باحثًا عن أجوبة بعينها في سلوكك، فإما أن تؤكد له ما يدور في باله من أفكار قديمة، أو تنتصر للتصورات الجديدة التي بدأت تغزو عقله. لذلك كان كل نشاط في فلسفة اللاعنف قائم علىٰ تحرير العقول ومخاطبة القلوب.

إن ممارسة النشاط ثم القمع ثم العودة لإجراء الحوار[2] عبر أنشطة جديدة يمكن اعتبارها سلسلة متصلة لمخاطبة قوىٰ القمع، هدفها في النهاية أن يتحرر ذلك الرجل وينحاز بدوره للمطالب العادلة.

وكلما أفرطت القيادة في توجيه أوامرها بالقمع، وأفرط المتظاهرون في

---

1 هناك الكثير من الحالات في ظل الديكتاتوريات كان بعض رجال القمع ينفذون الأوامر مكرهين، فلا يتعاملون معها بجدية، مثل تنفيذ أمر مطاردة المحتجين، لكنهم يحرصون علىٰ عدم الإمساك بهم. ومن هذه النماذج شهادة أحد المحتجين في مظاهرات شهدتها القاهرة عام 2009 للتنديد بالمجزرة الإسرائيلية في غزة، حيث جرىٰ الضابط وراء رجل عجوز وقال له: "أسرع.. لا أريد الإمساك بك". وهناك شهادات كثيرة في مواقف متعددة بهذا الشأن.

2 الحوار في لغة اللاعنف لا يعني الكلام، فكل نشاط تقوم به المقاومة يحمل رسالة للخصم، ومن ثم كان النشاط هو لغة الحوار.

المقابل في التعبير السلمي وإيضاح قضيتهم ومدىٰ عدالتها وإصرارهم علىٰ استمرار ذلك الحوار؛ شعر «**مجتمع القمع**» بالبون الشاسع بين سلوك القيادة وسلوك من يفترض أن يقمعهم، وحينها تتضاءل المبررات التي تسول له الإخلاص والحماس في تنفيذ أوامر القمع. هذا ما يُحدث لاحقاً تطوراً في موقف أفراد ثم مجموعات من مجتمع القمع، قد يكون بشكل مباشر كأن تبدأ موجات التمرد والامتناع عن قمع المحتجين، أو بشكل غير مباشر كأن يأخذ شكل التباطؤ في تنفيذ المهام، أو تقديم معلومات خاطئة للقيادة.

ما المطلوب من قوات القمع؟

يتمنىٰ البعض أن تخلي قوات القمع مواقعها، أو تنضم بسلاحها للمحتجين، ولكن هذه خيارات قاسية قد تتسبب في مقتلهم، بحكم التقاليد العسكرية، وعادةً إن تمت بشكل جماعي فإنها تكون في مراحل متأخرة من الصراع.[1] حيث تحسم أمرها بكل وضوح. وقد يرىٰ آخرون أن علىٰ رجل القمع المنشق أن يمارس فعلاً عنيفاً ضد قيادته العسكرية، أو أن يشن هجوماً داخلياً علىٰ وحدته العسكرية، ولكن هذا يلحق أبلغ الضرر بمسار اللاعنف، وقد يتسبب في تحويل الصراع إلىٰ مسارات عنيفة.

---

1 قد لا ينتبه الساخطون علىٰ عدم تمرد قوىٰ القمع (الجنود والضباط الصغار) إلىٰ أن القمع هو وظيفتهم التي يتكسبون منها، وأن هذا الفساد في النظام موجود في قطاعات مختلفة، وليس فقط في هذا القطاع، وأن كثيرين في مختلف الوظائف يطيعون أوامر خاطئة ويسكتون علىٰ فساد ربما يكبد المجتمع خسائر بالملايين، لكنهم لا يتحدثون أو يعلنون العصيان خشية فقدان الوظيفة. ربما يقاومون في الشارع، لكنهم لا يقاومون الفساد في أعمالهم. أي أنهم في عملهم يلعبون نفس دور رجل القمع الذي يحمي النظام. الفرق أن رجل القمع يحمي الفساد ببندقية، وهم يحمونه بأقلامهم وتوقيعاتهم. ليس هذا بالتأكيد تبريراً للسكوت علىٰ الظلم وكتمان كلمة الحق، ولكنه توضيح لما يصيب الطبيعة البشرية في كل مجال وربما لا ينتبه له البعض، مع الفارق في أن عدم الطاعة في الوظائف المدنية العادية قد تكون نهايته فقدان الوظيفة، وهو ما لا يقدر عليه البعض، فيستمر مكرهاً في عمله. أما في معسكر القمع فعدم الطاعة قد يودي بحياة صاحبه.

وقد يكون السبب وراء الأمنيات والآراء أننا ننظر إلىٰ رجل القمع كونه عسكرياً بالأساس، فخبراته وثقافته ومهاراته وطريقة تفكيره كلها تنتمي إلىٰ عالم العسكرية. إلا أن هناك خيارات أخرىٰ كثيرة أمام قوىٰ القمع - ضباطاً وجنوداً - استخدمت في تجارب لعل من أبرزها:

* التباطؤ في العمل.
* التحايل والالتفاف علىٰ القيام ببعض الأعمال أو التنفيذ الناقص لها.
* تقديم معلومات خاطئة للقيادة.
* العمل الجاد علىٰ إيصال الأخبار للمقاومة.
* حماية المحتجين في الحدود التي يسمح بها العمل ولا يتسبب في عقوبة. **(مثل السماح للبعض بالهروب بدلاً من الاعتقال).**
* توجيه الرأي العام داخل مجتمع القمع.
* التمرد وإعلان العصيان ورفض تنفيذ الأوامر.
* الهروب وترك الخدمة تماماً.
* الانضمام للمحتجين ودعمهم في الكفاح السلمي.

وفي الغالب فإن انضمام رجل واحد فقط من قوىٰ القمع إلىٰ معسكر المقاومة بشكل واضح، يعني أن هناك مائة ربما يمارسون الأشكال الأخرىٰ من الدعم غير المباشر. كذلك بقاء رجل واحد فقط موال للمقاومة في معسكر القمع، مع العمل علىٰ إيصال المعلومات للمقاومة أو تعطيل قوىٰ القمع، أفضل من فرار عشرة رجال إلىٰ معسكر المقاومة. ففي بعض الأحوال يتطلب الأمر أدواراً نوعية من داخل بنىٰ النظام. مثلما كان في الثورة السورية في بداياتها، حين كان بعض العاملين في مجال الاتصالات يعملون في وظائفهم وينقلون المعلومات للمقاومة.

إن الحركة الخفية في معسكر القمع أكبر من الحركة الظاهرة، مما يجعل الحكم على مدى تماسك معسكر القمع في حالات الحراك الشعبي أمراً يتطلب قدراً من المعلومات من الداخل. فملاحظة حالة تمرد ميدانية واحدة، قد تعني أن هناك العشرات ممن تم سجنهم أو ربما قتلهم في معسكراتهم لاحقًا.

أما خيار الخروج بالسلاح فهو يؤثر سلبًا على مسار الكفاح اللاعنيف. وقد يضر أكثر مما يفيد، وربما يدفع قوى القمع للمزيد من العنف. اللهم إلا في حالات المجتمعات المسلحة بطبعها مثل اليمن.

لذلك كان احتضان المجتمع للفارين مهمًا، بحيث لا يشعرون بغربة أو أنهم مطاردون. مثل ما قام به الثوار في الثورة الإيرانية عام 1979، حين أعدوا مراكز لاستقبال الفارين. كان شعر الجنود قصيراً، وحتى لا يتم التعرف عليهم طلب من جميع الشباب أن يقص شعره.

إن الشعور باحتمال مرجح لانفراط عقد قوى القمع في حد ذاته نذير شؤم على أي نظام، خاصة حين يكون القمع أحد الركائز الأساسية التي تثبت النظام. فمجرد تمرد مجموعات من قوات القمع سلمياً، فإنها تزلزل النظام من جهة، وتنتصر لمسار اللاعنف من جهة أخرى.

وبصفة عامة تُدرس كل حالة على حدة بحسب نوعية القمع المضاد وطبيعة المجتمع، وهو ما سنتحدث عنه لاحقًا في فصل (**خيارات التعامل مع القمع المفرط**).

العناصر المؤثرة في تحول قوات القمع في أجهزة الشرطة

إن تحديد شكل التعامل مع قوات القمع يخضع للآتي:

* ما القضية التي تكافح من أجلها؟ ومدى عدالتها؟ وملامستها لهم سلبًا أو إيجابًا؟

* ما درجة الرضا عن الدور الذي يقومون به؟
* ما مستوىٰ رضا الدرجات الدنيا عن القيادة؟
* ما هو هدف المقاومة الميداني؟ وما الاستراتيجية المتبعة لتحقيق الهدف؟
* ما الرسالة التي تريد المقاومة توصيلها إلىٰ قوىٰ القمع؟
* ما طبيعة تلك القوات؟ هل هي قوات قبلية عائلية أم طائفية أم تمثل الشعب بتنوعه؟ فكلما كانت قوات القمع تمثل الشعب؛ كان تحرير عقلها أكثر إمكانية، لأن القضايا التي تشغل الشعب تحيط بالجنود والضباط في بيوتهم، عبر آبائهم وأمهاتهم وإخوانهم وجيرانهم. وقوىٰ القمع من أسر متباينة في الطبقات تمثل المجتمع العادي.
* ما المشروع الذي تدافع عنه قيادات القمع؟ هل هو مشروع أيديولوجي يقاتلون في سبيله عن يقين، أم مشروع الحفاظ علىٰ مكتسبات ومصالح شخصية؟! فالذين يتحركون من أجل مصالح شخصية يكونون أقل حدة من أصحاب الدوافع الأيديولوجية.

العناصر المؤثرة في تحول قوات القمع في الجيش

كما يعتمد النظام في بقائه علىٰ قوة القمع، فإن حرب اللاعنف تنتصر إذا تمكنت من نزع مصادر القوة العسكرية والأمنية من يد النظام، وجعلتها ملكاً للشعب. فإن لم تتمكن من كسب هذه القوىٰ أو تحييدها[1] فغالباً ما يتم إجهاض الحراك التغييري – ولو بشكل مؤقت، أو يتهاوىٰ مسار اللاعنف ويتحول المقاومون إلىٰ المسار العنيف، الذي قد تكون نتائجه ليست أقل سوءاً.

---

1 لا يشترط أن يكون التحييد موقفاً واضحاً معلناً، فالتظاهر بانهيار القوات وعدم قدرتها علىٰ المواجهة يقود إلىٰ نفس النتيجة.

ويتحدد موقف الجيش ما بين دعم النظام، أو الحياد، أو الانحياز للشعب بناءً على عدة أمور:

* مدىٰ انشغال الجيش بالسياسة أو تطلعه لدور سياسي في المستقبل.
* مدىٰ فاعلية الجيش كجزء من المنظومة الأمنية الداخلية (**في تونس علىٰ سبيل المثال كان التأثير هامشيًا**).[1]
* مدىٰ شرعية النظام الموجود سواء لدىٰ الجنود أو عموم الناس.[2]
* مدىٰ الحراك الشعبي واحتمال تناميه أو احتوائه.
* مدىٰ انفتاح الجنود وصغار الضباط علىٰ الحراك الشعبي.[3]
* تقدير القيادة لمدىٰ تماسك الجيش في حالة (**الدعم – الحياد – الانحياز للشعب**).
* طبيعة تكوين الجيش عقديًا، فالجيش المذهبي والطائفي عادة ما تستميت قيادته في حماية النظام الذي تنتمي له.
* طبيعة تكوين الجيش نظاميًا، فالجيوش التي تعتمد علىٰ التجنيد الإلزامي أقل تورطًا في الدماء من الجيوش المحترفة.[4] والجيوش التي بها ولاءات قبلية أو سياسية في مناصب عليا تكون عرضة الانقسام فيها أكبر، مثل الجيش اليمني.
* وجود بدائل للجيش في حالة انشقاقات الجنود. ففي حالة الجيوش الطائفية والأيديولوجية تكون حالات الانشقاقات محدودة جداً علىٰ

---

1 مقال "لماذا يبقىٰ معظم الضبّاط السوريين موالين للأسد؟" للكاتب زولتان باراني
http://www.dohainstitute.org/release/dcc214e0-fd11-4b58-9797-b1af02b11eb9

2 نفس المصدر السابق.

3 نفس المصدر السابق.

4 نفس المصدر السابق.

المستوىٰ القيادة العليا. أما المستويات الدنيا من الجنود وصغار الضباط فتكون من شرائح متنوعة في المجتمع، وقد يحدث فيها انشقاقات لا تؤثر بدرجة كبيرة إن كان النظام لديه البدائل، مثل عدم الاعتماد عليهم والاستعانة بقوات خاصة ولاؤها له، أو تسليح مجموعات محلية موالية للطائفة أو الأيديولوجيا، أو المجموعات الخارجية الموالية، مثل استعانة بشار الأسد في سوريا بحزب الله اللبناني والحرس الثوري الإيراني.[1]

* الموقف الدولي ومدىٰ تأثيره في مصالح الجيش.[2]
* وجود صراعات بين الأجهزة الأمنية المتنوعة.
* تماسك القيادة ودعمها الكامل للسياسات المتبعة.
* وبناء علىٰ ما سبق تتحدد إمكانية تحول الموقف ودعم حركة الشارع، أو إمكانية حدوث انشقاقات، وفي حالة حدوثها فما هو مدىٰ تأثيرها. حيث تعتمد القيادات أحياناً علىٰ قوات أخرىٰ، أو أجهزة صنعتها خصيصاً لها، فلا تتأثر كثيراً بالانشقاقات – ولو علىٰ المدىٰ القريب.

تأثيرات استخدام الجيش ضد المحتجين

إن وجود قوات الجيش بصفة عامة في الشارع لفترة طويلة لا يهدد فقط استقرار الدولة؛ بل يهدد أيضاً القوات ذاتها. فعند النظر إلىٰ قوات الشرطة وما يتفرع منها من قوات مكافحة الشغب سنجد أن هذه القوىٰ الأمنية معدة للتعامل مع المتظاهرين، ليس فقط الإعداد التسليحي والتدريبي الذي مهمته تفريقهم وإلحاق بعض الأضرار بهم؛ بل أيضاً الإعداد النفسي لدىٰ كل من الشارع وقوىٰ القمع. فالاشتباكات المتكررة بين المحتجين وقوات الشرطة

---

1 نفس المصدر السابق.

2 نفس المصدر السابق.

موجودة في كل الدول تقريباً. ورغم سوء هذه العلاقة إلا أنها ليست صادمة إلىٰ حد كبير بالنسبة للمحتج، بل أحياناً تتشكل لغة متبادلة بين الفريقين أثناء الاشتباكات.

بينما قوات الجيش – علىٰ النقيض من ذلك – معدة للتصدي لعدو خارجي، ومن ثم فهي من حيث التدريب والتسليح معدة لكي تقتل. ولا توجد بالأساس علاقة عداء بينها وبين الشارع، لأنها معدة فقط لمواجهة أعداء الوطن.

واستخدام قوات الجيش داخلياً في غير تأمين المنشآت العسكرية والحيوية يعد مؤشراً خطيراً علىٰ مستقبل أي دولة، لأنه يؤثر علىٰ الجيش **في التالي**:

* اهتزاز السمعة والتقدير الداخلي. حيث يصيب الجيش ما يصيب القوات الأمنية في الدول القمعية من سوء تقدير وغضب من المواطن العادي. لأنها تشتبك معه بشكل مستمر.
* ضعف إمكانية الردع الخارجي. حيث تتحول الميادين والشوارع إلىٰ جبهات.
* وجود صراعات بين قيادات الأجهزة الأمنية وبين القيادات العسكرية بسبب صراع النفوذ علىٰ السلطة والشارع.
* انهيار النظام السياسي، حيث تعلق العملية السياسية بسبب خضوع السياسيين للقيادة العسكرية.
* انهيار اقتصادي حيث تتركز الميزانية في التسليح ودفع الرواتب السخية لشراء الولاءات. بالإضافة إلىٰ الخسائر الرهيبة في قطاعات الاستثمار والسياحة.
* إحتمال اندلاع حرب أهلية بسبب التعامل القمعي للقوة العسكرية ورغبة مجموعات في الرد والانتقام.

* إمكان نفاذ أعداء الوطن إلىٰ داخله، حيث تستثمر فرصة انشغال الجيش بفرض هيبته علىٰ المواطنين، وتُفرض المعركة عليه داخل المدينة، من خلال ميليشيات مأجورة تسعىٰ إلىٰ صناعة الفوضىٰ والتأليب والمشاحنات.

لماذا تخاطر الجيوش بالنزول للشارع؟

إن كان لنزول الجيوش إلىٰ الشارع كل هذه المخاطر، فما الذي يدعوها إلىٰ ذلك؟!

هناك عدة أسباب تجعل الجيوش تغامر بالنزول إلى الشارع:

* سوء تقدير للموقف (مثل تصور إمكان إجهاض الانتفاضة الشعبية سريعًا).
* اصطفاف طائفي مع قطاع من الشعب ضد آخر.[1]
* التورط في الدماء مما يجعل العودة أمر صعب.[2]
* توقع أن القادم أسوأ في حالة وصول المعارضة إلىٰ سدة الحكم. فلا يوجد ما يمكن كسبه لاحقًا.[3]

حملات استهداف الخطوط الخلفية للنظام

تتعامل حرب اللاعنف مع ملف قوات القمع النظامية باستراتيجية حكيمة، واعية بنقاط القوة والضعف لدىٰ تلك القوات.

فمن نقاط قوة قوى القمع:

* الإعداد الذهني والتدريب العملي لكي تقوم بمهام محددة، وهي قمع من أمامهم.

---

1 نفس المصدر السابق.

2 نفس المصدر السابق.

3 نفس المصدر السابق.

* تقاليد صارمة من السمع والطاعة تجعل عاقبة التردد أحياناً هي الموت. حيث تعتمد هذه الآلة القاتلة في النظم الديكتاتورية على طمس الفطرة وسحق العقل.

* وتحرص الديكتاتوريات على أن تجعل قواتها القمعية تعيش في حالة من التغييب، فلا تسمع إلا صوتها، ولا ترى العالم إلا من خلال أعينها هي، فهي تخشى من تنوع الآراء الذي قد يقود لاحقاً لتفتت في جبهة معسكر القمع.

لكن أيضاً هناك نقاط ضعف في هذا النظام القمعي، منها:

* تعيش مكوناته – من الجنود والضباط - وسط المجتمع، وبالتالي يمكن التأثير عليها بشكل أو بآخر بحكم احتكاكها بالمجتمع.

* المعاملة الآدمية سيئة ولا يوجد فيها احترام لكرامة الإنسان. ليس على مستوى الجنود بحسب، بل حتى الضباط، حيث تقوم العلاقة على الخوف من الرتبة الأعلى، وينتشر النفاق إرضاء للقيادة الأعلى.

استراتيجية "معسكر المجتمع"

وبناء على ما سبق، ولأن الضباط والجنود يعيشون وسط الشعب بشكل طبيعي؛ فإنه يمكن الوصول إليهم من خلال الخطوط الخلفية، وهي بيوتهم، وأسرهم، وحركتهم في الشارع. من خلال حملات مكثفة تتبنى استراتيجية «**معسكر المجتمع**» وهي المضادة لـ «**معسكر القمع**»، حيث نعتبرهم في معسكر المجتمع الذي يقوم بدوره بتأهيلهم بشكل مختلف، وإثارة تساؤلات داخلية مقابل ما يتلقونه في «**معسكر القمع**».

ويمكن تحديد أهداف استراتيجية "معسكر المجتمع" في:

* خلق اتصال مباشر بين المواطنين مع ضباط وجنود الجيش لتوفير مدخلات جديدة للمعلومات، والتأثير فيهم ذهنياً ونفسياً.

* خلق حوار داخلي بيني في وسط الجنود والضباط.

ويراعىٰ التعامل بحذر في هذا الملف، بحسب كل حالة، فالهجوم الحاد اللاأخلاقي علىٰ أي جبهة يوحدها، حيث يشعرها بالخطر. وخلق رأي عام يعزل الجنود والضباط عن القيادة يتطلب حكمة.

أفكار عملية لتحقيق استراتيجية "معسكر المجتمع"

1 - حملة «**كلم جارك الشرطي**».. حيث يقوم كل شخص بالتحاور مع جيرانه في محل إقامته وأقاربه من الضباط والجنود، خاصة ممن لهم علاقة مميزة به، كما يمكنه أن يكتب عبارات محددة أو يضع صوراً لها مغزىٰ تحت الباب.

2 - حملة التحاور مع أبناء وزوجات وأهالي الضباط والجنود، كل في نطاق عمله أو دراسته أو منطقته السكنية، بحيث تكون الحملة موجهة لأناس معروفين لك تستطيع التحاور معهم بشكل طبيعي، ويكون بإمكانهم الضغط علىٰ ذويهم، ولا تيأس أو تستعجل لتنتظر نتائج سريعة.

3 - التضامن مع الجنود والضباط المسجونين (حتىٰ ولو لم تُعرف أسماؤهم كلهم).

4 - عرض مشاهد فيديو أمام أقسام الشرطة والمنشآت العسكرية توضح الشكل المثالي لتعامل القوىٰ الأمنية مع المواطنين في الدول الديمقراطية.

5 - عرض مشاهد فيديو أمام أقسام الشرطة والمنشآت العسكرية تستعرض الانتهاكات.

6 - حملات تعريفية بأهم الرموز الوطنية في تاريخ القيادات الأمنية.

7 - برامج مصورة تشرح كيف يجب أن تكون علاقة الأجهزة الأمنية

بالمواطنين.

8 – الاهتمام بالدعاء والصلاة لمن استشهدوا من الضباط والجنود في مهام وطنية.

9 – وقفات سريعة أمام نقاط أمنية لإيصال رسالة متوازنة، وتقديم الورود.

10 – وقفة صامتة تبين انتهاكات النظام في أماكن المواصلات التي تقل الجنود.

11 – صفحات على شبكة الإنترنت تنشر الخبرات الشخصية في التعامل مع الأجهزة القمعية، وتوثيق طريقة التعامل. سواء من تعامل بشكل مباشر، أو سبق له الخدمة في تلك الأجهزة.

12 – دعوة قدامى الضباط المناهضين للاستبداد للاشتراك في شرح موقفهم من الاستبداد.

13 – الحوار المباشر مع قوات القمع في المسيرات والاعتصامات، من خلال كلمات موجهة من آباء وأمهات الشهداء، ومن شباب واع، وتوجه الرسالة لقوات القمع عبر مكبرات الصوت، حيث يقف المتحدث في مواجهتهم، يرفع صورة معبرة، أو علم بلاده، ويلقي كلمته. ويراعى أن تكون عاطفية، تحدثهم كإخوة في الوطن، وتحاول أن تعزلهم عن القيادة، كما تتمتع بقوتها في هز الضمائر. كما يمكن عرض مشاهد للجرائم التي ترتكبها القوات. ومثل هذا النوع من الأنشطة مهم جداً، وعادة ما تتجنب القيادة تعريض جنودها لهذه الأنشطة.

14 – المقاطعة الاجتماعية، والامتناع عن البيع والشراء والتعامل معهم ومع ذويهم مما يشكل ضغطاً نفسياً في كل بيت.

ويمكن إبداع المزيد من الأفكار في هذا الموضوع، ومجرد الإعلان عن مثل

هذه الحملات بمثابة حرب نفسية علىٰ القيادات القمعية، حيث تخشىٰ من فقد سيطرتها علىٰ قواتها. كما يراعىٰ التدرج في الحملة فلا تتم المقاطعة الاجتماعية قبل الحوار المكثف.

ثانياً: القوات الخارجية

وتشمل كل من يشارك في القمع من من خارج الدولة، مثل الاستعانة بميليشيات أو جيوش أجنبية. يمكن تصنيفها بحسب قربها ثقافياً وأيديولوجياً من أهل البلد كالتالي:

* **وحدة الثقافة والأيديولوجيا:** قوات تنطق بلغة أهل البلد وتحمل نفس ثقافتهم ولا تتحرك بدافع أيديولوجي.
* **وحدة الثقافة واختلاف الأيديولوجيا:** قوات تنطق بلغة أهل البلد وتحمل نفس ثقافتها لكنها معبأة بأيديولوجيا مخالفة (دينية أو مذهبية أو عرقية)، وعادةً ما يقاتلون بشراسة. مثل استعانة النظام السوري بقوات من حزب الله اللبناني للتصدي للثورة السورية.
* **اختلاف الثقافة والأيديولوجيا:** قوات أجنبية تختلف في اللغة والثقافة، مثل المرتزقة الأفارقة الذين استعان بهم القذافي في مواجهة الثوار الليبيين.

وفي هذه الحالة يتم العمل علىٰ مسارين:

* استهداف مصالح الدول الداعمة بحملات لا عنيفة داخلها وخارجها.
* وضع استراتيجية للتعامل مع العنف المفرط، بالإضافة إلىٰ الاستفادة من بعض تكتيكات التعامل مع البلطجية،[1] التي أنتجتها بعض خبرات وممارسات ثورات الربيع العربي. وهنا لابد من التذكير بوفرة وتنوع ما

---

1 يمكن الرجوع لفصل التعامل مع القمع المفرط.

في جعبة ترسانة أسلحة اللاعنف من عمليات وتكتيكات، وهي تزداد بحسب تراكم الخبرة الإنسانية المقاومة للاستبداد. ومن أفضل مايمكن استخدامه في ذلك «**خارطة التكتيكات**» كما سيتم شرحها بإيجاز لاحقاً.

ثالثاً: البلطجية

طبيعة تكوين معظمهم إما جنائيون كانوا مسجونين تستغلهم أجهزة الأمن، وتعدهم بعدم الملاحقة وإسقاط ما عليهم من أحكام إن نفذوا ما يطلب منهم، أو قاطعو طرق ومجرمون محترفون أو بائعو أو مستهلكو مخدرات، وكل هؤلاء تسلطهم الأجهزة الأمنية علىٰ من تريد. وبصفة عامة هذا الصنف لا يتحرك في الغالب من تلقاء نفسه، فتحركه مشروط بالمال والمصالح.

وقد يفوق خطر هذا الصنف بالنسبة للمحتجين خطر قوات الشرطة، فقوىٰ الأمن مدربة بشكل كبير علىٰ التخويف والتفريق وفض التجمعات لا القتل، وهي تقمع بأساليب مدروسة تتميز بقدرٍ من ضبط النفس، كما يردعها أحياناً حسها القانوني خشية الملاحقة القضائية. أما البلطجية فلا يتمتعون بهذا القدر من التدريب والدراسة فيتعاملون بوحشية كبيرة ولامبالاة. [1]

والتعامل مع البلطجية تنطبق عليه قواعد التعامل مع أدوات القمع، من حيث التفكير في كيفية استثمارها لصالح المقاومة، قبل التفكير في مجرد دفع أذاها. فربما اكتشفت المقاومة أن البلطجية هم الثغرة التي سيكشفون من خلالها فساد كبار رجال النظام وضلوعهم في إدارة الجريمة. في هذه الحالة ستتعامل المقاومة مع البلطجة كفخ تنصبه للنظام، وسيتغير منظور التعامل كاملاً.

---

1 لا ينطبق هذا علىٰ قوىٰ القمع التي تم تدريبها علىٰ ممارسة جرائم القتل، وهو مايحدث غالباً في أواخر عمر الديكتاتوريات والدول الأمنية، ونجاتها مرهونة بمدىٰ إصرار المجتمع الإنساني محلياً وعالمياً علىٰ المطالبة بحقة الإنساني، وعدم السماح لشريعة الغاب أن تسود.

وتعتمد طريقة التعامل مع البلطجية علىٰ دراسة نقاط قوتها وضعفها، وحشد نقاط قوة المقاومة في مواجهة نقاط ضعف البلطجية مثل: الخوف من الحشود الكبيرة، وأن المال هو المحرك الأساسي لهم وليس الفكرة، وأنهم غير محبوبين شعبياً، وأن من يوظفهم هو أول من يتخلص منهم حين يزداد الضغط، حيث لايمثلون إلا كبش فداء. أو قد تتم تصفية بعضهم لكتم الأسرار. يضاف إلىٰ نقاط الضعف هذه ميلهم إلىٰ المواجهات المباشرة وقلة لجوئهم إلىٰ الحيلة والخداع.

وفي ضوء نقاط الضعف نذكر أمثلة لاستراتيجيات التعامل مع البلطجية من خلال دراسة لكل من تعامل الثورتين اليمنية والمصرية مع هذا التحدي:

الاستنزاف المباشر

وتراهن هذه الاستراتيجية علىٰ أنه برغم ما يمثل هؤلاء البلطجية من ألم للمتظاهرين، غير أن الفاتورة التشغيلية لهم أيضاً مكلفة، ومن ثم فالاستمرار في استئجار البلطجية غالباً لن يستمر، خاصةً إن قوبل من قِبل المقاومة بالمزيد من الإصرار علىٰ الاحتجاج. ويسعىٰ المقاومون هنا إلىٰ توفير أدوات الحماية اللازمة مثل الدروع الفردية والجماعية (سنتحدث عنها لاحقاً) والتي من شأنها تقليل الخسائر النفسية والجسدية. والرهان علىٰ استنزاف الموارد المالية للممولين.

تجفيف المنابع

لأن البلطجية لا يتحركون من تلقاء أنفسهم، فإن مواجهتهم أحياناً لا تكون مجدية بقدر ما تكون مواجهة المسؤول عن تمويلهم، لأنه إن توقف عن التمويل توقفوا. فهؤلاء في الغالب لا يقاتلون دفاعاً عن مبدأ أو فكرة. ويمكن اعتماد استراتيجية تجفيف المنابع من خلال:

* توثيق صور البلطجية والتعرف عليهم ومناطقهم.
* التعرف علىٰ الشخصيات المحركة لهم وفضحها إعلامياً.
* رفع الدعاوىٰ القضائية علىٰ الممولين وإعلان أسمائهم كمجرمين، وشن حملات محلية ودولية للضغط عليهم.
* شن حملات لاعنيفة علىٰ مصالحهم تشمل وسائل الاحتجاج واللاتعان والتدخل المباشر.
* شن حملات لا عنيفة علىٰ أسرهم للضغط النفسي.

الحشود الضخمة

لا يجرؤ البلطجية علىٰ المواجهة المباشرة أو التصدي للحشود الضخمة، ربما تطلق بعض الأعيرة النارية علىٰ الأطراف، أو تناوش من مسافات بعيدة أو من فوق المباني. لكنها تفر هاربة إذا ما استهدفتها الحشود بشكل مباشر. لذلك فالحشود الضخمة دواء فعال لمواجهة البلطجية، أو علىٰ الأقل تقليل أخطارها. وفي هذا يفيد بشكل كبير تواجد مجموعات عمل مدربة تدريباً خاصاً ضمن الحشود الضخمة، تقوم بالتصدي لهم أو الإمساك بهم، والتعامل معهم بوسائل لاعنيفة مختلفة في أماكن آمنة، ويمكن استخدامهم لاحقاً في جلب معلومات بعد تحويل ولائهم، وقد يتم إقناعهم أن من قام بخطفهم أفراد منشقون عن النظام الخاسر، أو جهاز آخر من أجهزة النظام.

التصدي لهم

ويكون التصدي من جهة مسؤولة تتحمل ما تقوم به، وإلا تحول الأمر إلىٰ فوضىٰ عنف. مثل أن تقوم بالتصدي لهم مجموعات من الجيش لا ترتضي الوقوف إلىٰ جوارهم، أو الصمت علىٰ إجرامهم، أو عائلات وقبائل مشهورة بنفوذها، أو حركة تتبنىٰ الموضوع، أو مجموعات "حفظ السلام" التي تحمي

المسيرات والمدربة علىٰ التعامل مع هذه الحالات. المهم ألا يُترك الأمر لآحاد الناس، حيث يزيد احتمال الانحراف الكامل عن المسار السلمي. كما تزيد نسبة الإصابات بسبب التعامل العفوي. بالإضافة إلىٰ إمكانية المحاسبة والمساءلة في حالة التساهل في الدماء أو تمت تصفيات جسدية للبلطجية، حتىٰ وإن كانت المساءلة والمراجعة من قبل المقاومة ذاتها، بحيث لا ينحرف المسار.

كما يجب تحديد طبيعة التصدي، وحدود الرد، هل هو قذف بالحجارة أم مجرد الإمساك بهم وتوقيفهم. يتوقف الأمر علىٰ طبيعة السلاح الذي يحمله البلطجية، ومدىٰ تأثيره (**مجرد تخويف أم يلحق إصابات أم يقتل**). والقدرة كذلك علىٰ التوثيق الإعلامي لكل ما يجري. علىٰ أن يكون الرد في النهاية يصب في مصلحة المقاومة، ولا ينال من التعاطف الشعبي؛ بل يزيده.

التوقيف

الإمساك ببعضهم إما باليد أو باستخدام تكنيك الشباك التي ترمىٰ عليهم.[1] مع الاهتمام **بعد توقيفهم بالتالي**:

* حسن المعاملة.. خاصة أولئك الذين يرجىٰ منهم تحول في الموقف.
* تصويرهم وتوثيق أسمائهم وعناوينهم.
* تسليمهم للجهة الأكثر تعاونًا (**الشرطة أو الجيش**) بحسب الحالة، ليتم التحقيق معهم ومحاكمتهم.
* وفي حالة أن أجهزة الأمن والجيش في الدولة غير متعاونة، بل وتستخدم المرتزقة لصالحها؛ حينها يتم التعرف علىٰ هوياتهم، والفضح الإعلامي، واللجوء إلىٰ خيار تهديد العائلات الكبرىٰ وشيوخ القبائل لعائلاتهم أو خيار المصالحة مع كبار البلطجية «**المِعَلِّمْ**» الذي يحركهم ويديرهم.

---

1 انظر "سلاح خيوط العنكبوت" في باب تكنولوجيا مواجهة القمع.

تهديد العائلات وشيوخ القبائل

فيمكن بسهولة لأبناء أي حي أن يعرفوا البلطجية فيه، ومن ثم يمكن للعائلات الكبرىٰ وشيوخ القبائل أن تستخدم نفوذها في التهديد المباشر للبلطجية الذين يقتلون المحتجين السلميين بدم بارد. خاصة كبيرهم الذي يحركهم، ويتوعدونهم أنهم إن قُتل منهم شخص سيقتصون منه. وعادة ما تقود هذه الأمور إلىٰ المصالحة إن تم التعامل معها بجدية.

المصالحة والتحييد

تعويضات مالية لعائلات البلطجية وعمل مصالحة بألا يعتدي أحد منهم علىٰ المتظاهرين السلميين، بل وأحيانًا يكونون لاحقًا درع حماية للمنطقة من أي بلطجية من عائلات أخرىٰ، سواء من داخل المنطقة أو خارجها.

التجنب

تجنب الدخول في الأماكن المعروف تواجد بلطجية فيها. وحين تكون الأعداد قليلة وتتوقع أن يأتوا هم إليك؛ تجنب الدخول في مواجهة معهم. اعتمد الوقفات القصيرة، ولا تتحول إلىٰ هدف سهل، أو تنشغل بمعركة لا فائدة منها. خاصة إن كان البلطجية من نفس الحي الذي تقف فيه، إن قمت بالاشتباك معهم، فسيشتبكون معك بقوة، وسيعودون المرة القادمة بأعداد أكبر وروح انتقامية أعلىٰ، لأنهم لا يقبلون أن يهانوا في منطقتهم. فيتحول الحراك إلىٰ عراك، كل يوم في شجار. اختر معاركك بعناية وتذكر نصيحة سان تسو: **«توجد طرق عليك ألا تسلكها، وجيوش يجب ألا تهاجمها، ومدن يجب ألا تحاصرها، ومواقف يجب ألا تقاتل فيها بضراوة»**.[1]

---

1 سان تسو، فن الحرب، ترجمة رؤوف شبايك، نسخة إلكترونية، ص50.

كسب البلطجية

ويحدث عندما يطال القمع البلطجية أنفسهم، إما لعدوان من قوىٰ الأمن، أو لإصابة أو مقتل أحد المقربين منهم. فالبلطجية في النهاية جزء من المجتمع بتعقيد شبكة علاقاته، فقد تجد من بينهم من فقد صديقاً استشهد، أو ذا قرابةٍ كان من بين المتظاهرين. خاصةً حين يطال المصاب إحدىٰ العائلات الكبرىٰ المشهورة بالبلطجة. في هذه الحالة تحول ولاءها بالكامل، وتعتبر نفسها درعاً للمتظاهرين الذين يمرون في مناطقها، فتحميهم ضد أي اعتداء، سواءً من الأمن أو من بلطجية قادمين من مناطق أخرىٰ.

الخداع والحيلة

فالعضلات لن تصمد أمام عقل متقد ذكي، فإن كانت نقطة قوة البلطجية تكمن في عضلاتها وأسلحتها، فإن نقطة قوة المقاومة تتركز في عقلها ودهائها. فيمكن خداعهم وجرهم إلىٰ مكان لا نية للمقاومة في التواجد فيه، أو دفعهم إلىٰ أماكن يمثل وجود البلطجية فيها أمراً غير مرغوب فيه للنظام.

وبذلك نجد أن الخيارات تتنوع ما بين الاستنزاف المباشر، وتجفيف المنابع، والحشود الضخمة، والتصدي، والإمساك، والتهديد، والمصالحة والتحييد، والتجنب، والكسب إلىٰ الصفوف والخداع والحيلة. ويتوقف الخيار بحسب الاستراتيجية العامة للمقاومة، وقد تدمج بين بعض هذه الخيارات، أو تتطور الخيارات بحسب المرحلة. فيمكن التناغم بين الخيارات، كالالتزام بالصبر الجميل لمدة محددة يتم فيها توثيق كل ما يجري من اعتداء، ثم البدء في الإمساك.. وهكذا.

إن التعامل مع ملف البلطجية يتطلب التعامل في ضوء دراسة فعلية لنقاط القوة والضعف بحسب كل بلد، والخروج من أزمة التفكير في كيفية الرد علىٰ البلطجية وحماية المحتجين إلىٰ كيفية إفقاد هذا السلاح قيمته لدىٰ الخصم.

كيف يكون في يده لكنه غير قادر على استعماله. فاللجوء إلى تكتيكات اللاتعاون لا يمكن للبلطجية أن يتعاملوا معها، لأنها تكتيكات تقوم على الاختفاء من الشارع والتسلل عبر شرايين النظام.

كما يمكن استخدام«**خارطة التكتيكات**» في التخطيط للتعامل مع البلطجية، حيث يتم حصر شبكة العلاقات الذين هم جزء منها، ثم اختيار الاستراتيجيات والتكتيكات المناسبة للتعامل مع كل طرف، مثل خطة التعامل مع الممولين والموجهين.[1]

فإذا أخذنا مثالاً البلطجية في منطقة محددة، ورسمنا شبكة العلاقات المتصلة بهم سواء كانت علاقات إيجابية أو سلبية، سنجد علاقة تربطهم بقسم الشرطة، وبالممول، وبأهالي المنطقة، وبعموم الشعب، وبموقف المنظمات الحقوقية والإعلام منهم. وهكذا تضاف كل العناصر المرتبطة بالبلطجية، والتي قد يكون منها بلطجية آخرون في المنطقة معادين لهم.

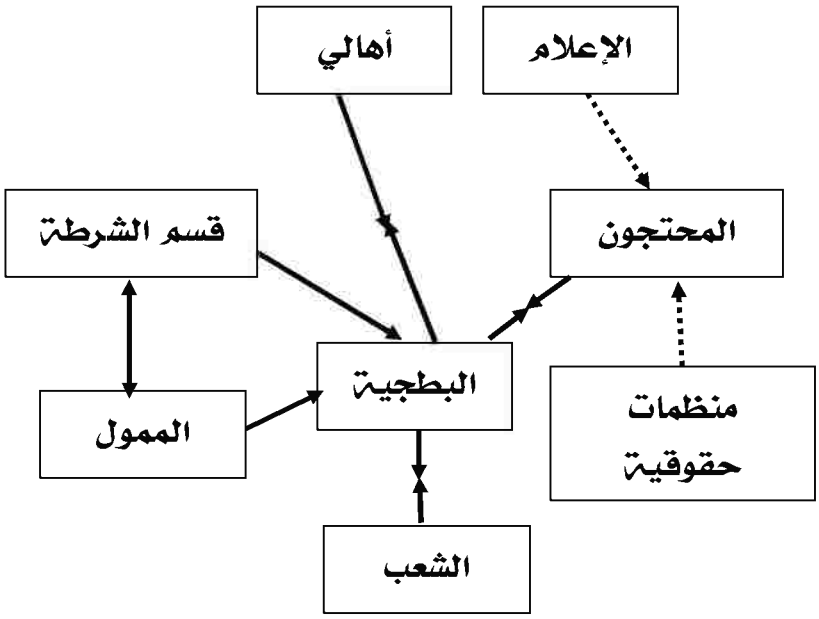

شكل 6: تصور جزئي كمثال لخارطة بعض علاقات حركة البلطجية.

1 يمكن الرجوع إلى كتاب "مسرح عمليات اللاعنف" من إصدارات أكاديمية التغيير.

في هذه الخارطة يرمز السهم في الاتجاه الواحد لعلاقة النفوذ، مثل علاقة الممول بالبلطجي، ويرمز الخط الذي به سهمان متقابلان في المنتصف لعلاقة التضاد، مثل علاقة البلطجي بالمتظاهرين والأهالي وعموم الشعب، ويرمز السهم المنقط لعلاقة الدعم مثل علاقة الإعلام بالمتظاهرين، ويرمز الخط الذي به سهمان في الطرفين إلىٰ علاقة المصلحة المتبادلة مثل علاقة قسم الشرطة بالممول. يتم استهداف كل علاقة بتكتيك أو عدد من التكتيكات التي تستهدف التقوية أو الإضغاف أو الكسر.

وبهذه الخارطة يمكن للمحتجين شن حملة ممنهجة، يُستثمر فيها موقف الأهالي منهم، واستثمار الإعلام في فضح الممارسات، وفضح العلاقة التي تربط البلطجية بالممول، أو ربما بقسم الشرطة أيضًا، كما تستثمر قوة العلاقة بين المنظمات الحقوقية والمحتجين. وقد يلجأ المتظاهرون إلىٰ تكتيكات لا تدع مجالاً للاشتباك مع البلطجية. كل ذلك يخضع للخطة والهدف.

ويساعد رسم مثل هذه الخارطة في تحديد طريقة التعامل، فإن كان الأهالي في حالات معينة يعادون المحتجين، في هذه الحالة ستختلف شكل العلاقة بين الأهالي والبلطجية، وبناء عليها يتخذ قراراً بمدىٰ فاعلية النشاط في هذه المنطقة، وهل يمكن تنفيذه أم لا.

هذه الخارطة مجرد مثال توضيحي، لبيان طريقة التفكير في التعامل مع البلطجية، كما يمكن عمل خارطة أخرىٰ للممولين، وأقسام الشرطة، والمخبرين، والمتعاطفين، وللإعلاميين.. الخ، ورصد شبكة علاقاتهم ومصالحهم هم وذويهم، وبالتالي يمكن استهدافهم بحملات لا عنيفة، وتكوين وتدريب مجموعات عمل متخصصة لكل فصيل مستهدف، مما يعطي

المظاهرة وحملة المقاومة قيمة نوعية تمثل نقطة قوة للحراك الشعبي.

إن دراسة شبكة العلاقات قد يظهر عدداً هائلاً من العلاقات التي لم تكن في الحسبان، والمنتصر هو الذي سيكتشف العلاقات الذهبية، تلك العلاقات التي إن تم التعامل معها باستراتيجيات وتكتيكات واعية، أصبح النجاح محققاً.

إن التعامل مع البلطجية يخضع للرؤية الكلية للمقاومة، والمقاومة الواعية تدرس كيفية التعامل معهم في إطار أنهم مجرد أداة، إن تم الضغط علىٰ مستخدمها فلن يلجأ إليها. فالتفكير في تفادي العصا، يختلف عن التفكير في إجبار من يحمل العصا علىٰ طرح عصاه أرضاً.

إنها معركة عقول، وعقول المقاومين تتفوق بدرجات علىٰ عقول البلطجية. ولأنها تعمل من أجل تقوية المجتمع فهي تمتلك طاقة إبداعية في البناء، كما أن لهلا طاقة خلاقة في مواجهة الاستبداد وأدواته. وحين يدرس المجتمع ذي العقل الراجح نقاط ضعف البلطجية، فسينتصر عليهم مهما بلغ حجم عضلات وتسلح هذا العقل الضعيف، وهنا تأتي عبقرية الحيلة والخداع.[1]

رابعاً: الأهالي

أحياناً يكون الأهالي ساخطين على المقاومة لأسباب عدة منها:

* الاختلاف مع مطالب المحتجين.
* الاختلاف مع الأساليب التي ينتهجها المحتجون.
* الضرر المباشر الذي يقع عليهم إما في الأرزاق أو في تعطل الحياة بصفة عامة.
* ويكون تعبيرهم عن السخط متباين ما بين أهالي مسلحين وغير مسلحين.

---

1 يمكن العودة إلىٰ دراسة رياضة الجوجيتسو وكيف يستطيع المتمرس فيها من خلال العقل والمهارات التغلب علىٰ القوىٰ العضلية والسلاح.

الأهالي غير المسلحين

قد يعبرون عن رفضهم من خلال العنف اللفظي، أو إلقاء بعض الأشياء علىٰ المحتجين مثل أكياس المياه، أو يشتبكون بالأيادي. وفي جميع الأحوال هذا الصنف من الناس ينبغي أن يتم التعامل معه من **خلال**:

امتصاص الغضب وعدم إثارته: بمنع أي اشتباك أو إيقاف أي تلاسن، فدور حركة المقاومة أن تنير عقول هؤلاء وتشرح لهم قضيتها، فهؤلاء في النهاية لديهم رأي مخالف. ولا ينبغي الاعتداء عليهم بأي حال من الأحوال.

الاهتمام بالتحاور معهم: من خلال الهتافات الموجهة لهم، والكلمات المعدة لتصل إليهم عبر مكبرات الصوت، والإشارات والتلويح إلىٰ الشرفات بالورود والأعلام، ورفع رايات "من حقك أن تختلف معنا"، في حالة المرور بمنطقة معلوم عداؤها للفكرة علىٰ نحو كبير.

الأهالي المسلحون

وهؤلاء الذين أشرنا سابقاً إلى أن البعض يخلط بينهم وبين البلطجية، وهؤلاء يعاملون نفس المعاملة السابقة مع وضع الاعتبارات التالية:

* ضرورة التنسيق معهم مسبقًا في حالة أن هناك اعتصام سيضرب خيامه في منطقتهم، أو مسيرة ممتدة لفترة طويلة في منطقتهم.
* عدم الاستهانة بموقفهم لأنهم قد يدخلون في عداوة لأسباب ليست سياسية، ولكن بسبب الاعتداء علىٰ منطقتهم. فإن لم يتم كسبهم فيفضل تجنب المناطق التي يتواجدون فيها.
* الاشتباك معهم قد ينتج عنه تطور العنف وليس نهايته، حين يعودون في اليوم التالي بأعداد ضخمة للانتقام.
* توجد إمكانية لإقناعهم بعدم التعرض للمتظاهرين السلميين، كما يمكن

أحياناً أن يعدوا بحماية المتظاهرين المارين في مناطقهم في حالات تعرضهم لاعتداء من مجموعات أخرىٰ.

* شكرهم بعد العمل علىٰ جهودهم، فكثيراً ما يلعبون دوراً في حماية المتظاهرين الفارين من بطش الشرطة أو المرتزقة، فيرشدونهم إلىٰ الطرق الأفضل للعودة والإفلات من الكمائن المنصوبة في الطرق.

* * * *

الخلاصات

* عادة ما يُعبأ الجنود والضباط في معسكرات القمع ذهنياً على أن من أمامهم عدواً يريد أن يفتك بهم، أو أنه عدو للوطن يريد تخريبه، وعادة ما تبني المؤسسات الأمنية بينها وبين المجتمع سوراً عالياً، فهي لا تختلف كثيراً عن الجماعات الراديكالية أحادية النظرة، والتي غالباً ما يصعب تغيير أفكارها بالإقناع، وإنما بالصدمات العملية للقناعات.
* إن تغير موقف «**رجل القمع**» فلا معنىٰ لوجود ترسانة الأسلحة.
* لا تتعجل تغيير رجل القمع لموقفه، فأحداث قمع غير مبررة قد تغير المشهد برمته.
* لا تنتظر بالضرورة تغييرات حادة في المواقف فهناك ممارسات أخرىٰ منحازة للتغيير مثل تسريب المعلومات.
* انضمام رجل واحد فقط من قوىٰ القمع إلىٰ معسكر المقاومة، يعني أن هناك مائة ربما يمارسون الأشكال الأخرىٰ من الدعم غير المباشر.
* بقاء رجل واحد فقط موالٍ للمقاومة في معسكر القمع، مع العمل علىٰ إيصال المعلومات للمقاومة أو تعطيل قوىٰ القمع، أفضل من فرار عشرة رجال إلىٰ معسكر المقاومة.
* لا تتوقع أن معسكر الخصم متماسك لمجرد أنك لم تلحظ حالة تمرد ميدانية واحدة، أنت لا تعرف عدد من تم سجنهم أو ربما قتلهم في معسكراتهم لاحقاً.
* استراتيجية «**معسكر المجتمع**» تعني شن حملة توعية مكثفة علىٰ الضباط

والجنود المتواجدين فعلياً وسط المجتمع.

* تحول المتمردين من معسكر القمع إلىٰ الكفاح المسلح قد يمثل كارثة علىٰ مسار التغيير. يكفي فقط أن تصل الرسالة إلىٰ القيادة المستبدة، أن معسكره قد يتفتت إن استمرت نفس الممارسات.
* إذا لم يتمكن المقاومون من كسب مصادر القوة العسكرية والأمنية أو تحييدها فقد يتم إجهاض المشروع التغييري برمته أو يتهاوىٰ اللاعنف ويتحول المقاومون إلىٰ المسار العنيف.
* من المهم أن يدرك المقاومون العوامل التي تحدد إمكانية حدوث انشقاقات داخل الجيش، وفي حالة حدوثها فما هو مدىٰ تأثيرها.
* المرتزقة من خارج البلاد يعاملون معاملة قوات الاحتلال ويتم طردهم بالوسائل التي يقرها القانون الدولي لمقاومة الاحتلال.
* يجب التمييز بين البلطجية المرتزقة والأهالي.
* استراتيجية التعامل مع المرتزقة المحليين تتنوع ما بين الصبر الجميل، وتجفيف المنابع، والحشود الضخمة، والتجنب، والتصدي، والإمساك، والتهديد، والمصالحة والتحييد، والكسب إلىٰ الصفوف.
* استراتيجية التعامل مع الأهالي غير المسلحين تدمج بين امتصاص الغضب والتحاور معهم.
* استراتيجيات التعامل مع الأهالي المسلحين تسعىٰ إلىٰ وضع اعتبارات لهم ومحاولة كسبهم سواء بالتحييد أو الحماية.

* * * *